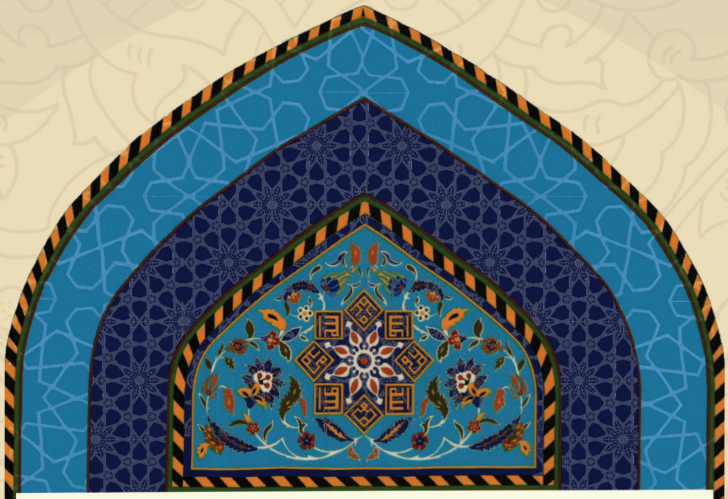

عصر سامراء
الألف السادس قبل الميلاد
الحاضنة الأولى لحضارة بلاد الرافدين القديمة

The Age of Samarra is the Sixth Millennium (B.C) the First Incubator of Ancient Mesopotamian Civilization

أ.م.د. كاظم جبر سلمان

جامعة بابل

كلية الآداب

Asst. prof.Dr. Kadhim Jabur Salman

University of Babylon

College of Arts

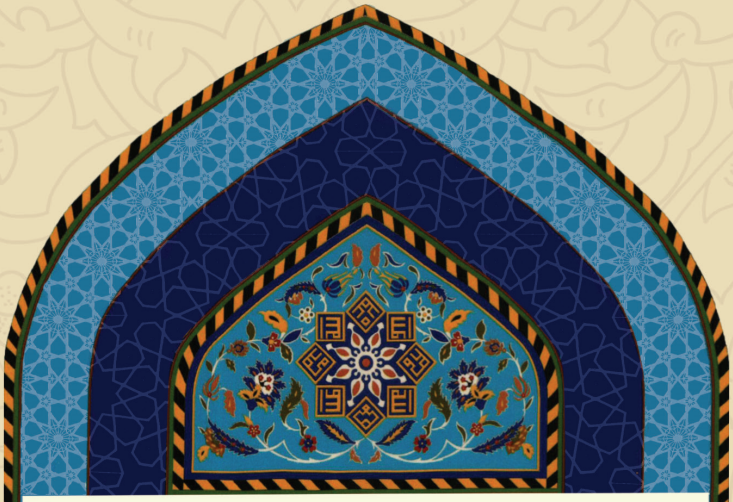

عصر سامراء
الألف السادس قبل الميلاد
الحاضنة الأولى لحضارة بلاد الرافدين القديمة

الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة عصر سامراء ومنجزاته الحضارية والعمرانية في مدينة سامراء وأثره في تطور الإنسان، كما ركز البحث على مجموعة عوامل ومرتكزات استطاع العراقي في العصور القديمة ولاسيما في العصر مدار بحثنا أن يثبت بأنه يقدم أكثر الأشياء تطوراً في عصره مثل العمارة والبناء، وكذلك الصناعات الأخرى مثل المعادن والفخار والآجر، حيث أبدع الإنسان العراقي في جميع نتاجاته البنائية ومنها مواد البناء وأسلوب التسقيف والفنون التي نفذها آنذاك، وغير ذلك من مجالات الحياة الأخرى، إذ لمست جميع البعثات التي عملت في المواقع الأثرية في مدينة سامراء بأن هذا العصر من العصور الذهبية والتي تكاملت فيها.

الكلمات المفتاحية:

الديانة والطقوس، الصناعة والفنون، عصر سامراء، عمارة الألف السادس.

The Age of Samarra is the Sixth Millennium (B.C) the First Incubator of Ancient Mesopotamian Civilization

Abstract:

The study focuses on studying Samarra age and its civilizational and constructional achievements and their impact on human development. The study concentrates on several factors that enabled the ancient Iraqis especially during the sixth millennium (B.C) to prove that they were able to introduce the most developed things in their age like construction and building. Ancient Iraqis were innovative in their construction including building materials, roofing style and ornaments. Most of missions that worked in the archaeological sites in Samarra city have witnessed that this age was the golden age of the city.

key words:

religion and rituals, industry and arts, Samarra age, and the construction of the sixth millennium.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

مقدمة:

أكدت الأدلة الأثرية المتمثلة بالمخلفات المادية المكتشفة في العراق القديم، أن المنطقة الشمالية كانت مسرحا لنشاطات الإنسان العراقي القديم في اغلب حقب عصور قبل التاريخ[١]. قبل ان يستقر في المنطقة الجنوبية عند نهاية الالف السادس وبداية الالف الخامس قبل الميلاد ويؤسس أقدم حضارة عرفها التاريخ على مرّ عصوره[٢]، والبيئة الطبيعية في هذه المنطقة كانت الحاضنة الأولى لبناء فلسفة الإنسان العراقي القديم وتحديد سمات حضارته وخصوصيتها عن طريق فعل المحسوسات وانعكاساتها في تجاربه العملية، إذ بدء يستعير ويستدعي وينتقي بعض الافعال ومن ضمنها المفردات الفكرية التي حملت معها بدايات التناغم بين ظاهر تلك الافعال ومضمونها، وكان الجفاف أكثر تلك المحسوسات اثرا في فكر وحياة الإنسان آنذاك، إذ شكل تحديا رئيسا عد في نظر العديد من الباحثين والمهتمين بالدراسات القديمة وفي مقدمتهم المؤرخ توينبي الحافز الاكبر في نشوء الحضارات بصورة عامة وحضارة بلاد الرافدين القديمة بصورة خاصة، وقد شملت تلك التغيرات أنماط مختلفة من حياة ذلك الإنسان تمثلت بهجره ودون عوده لحياة كاملة كان الصيد والرعي عمادها، ودخوله حياة جديدة مرتكزاتها تمثلت بالاستقرار وإنتاج القوت وكانت التغيرات المناخية أهم تلك التغيرات متمثلة بزيادة كميات الأمطار في جنوب العراق ولاسيما في المدة المحصورة بين الألفين السادس والرابع قبل الميلاد، وهذا بدوره قوض العلاقة بين الإنسان وبيئته إذ اختفت حيوانات الصيد الكبيرة التي اعتاد على مطاردتها وصيدها وحلّت محلها الحيوانات التي ما تزال تعيش إلى يومنا هذا، وفي ضل ذلك ظهرت مجالات جديدة للاستيطان في مواقع مفتوحة على شواطئ الانهار ومصباتها وفي السهول الرملية بعد انتفاء الحاجة إلى الكهوف والملاجئ الصخرية وحصل تقدم كبير في صناعة الآلات والأدوات الحجرية لتلائم الظروف الجديدة .

---

(1)Aprehistoric find near Razzazz. voure، "p.136

(٢) الشيخ، عادل عبدالله، بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق، ص ٩٣-٩٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

التمهيد:

ان التحدي الذي واجهه ذلك الإنسان في العصور القديمة والمتمثل بالجفاف الذي اجتاح منطقة بلاد الرافدين اعطى دافعاً للجماعات السكانية التي اخذت تالف حياة التعايش ضمن الجماعة من مدة ليست بالطويلة إلى البحث عن سبل للعيش مشابهة لتلك التي اعتادوا عليها في مجتمعاتهم القديمة قبيل ظهور الجفاف، وكانت الحلول تتمحور في اختيار أحد الخيارين الأول تغيير مواطن سكناهم والبحث عن مواطن مشابهة لها، والثاني تغير أسلوب معيشتهم في حالة بقائهم في مواطنهم الأصلية، ويبدو ان الأغلبية فضلوا الخيار الأول، وهذا ما أكدته البقايا الاثرية للمجاميع السكانية التي كانت تقطن الأراضي الشمالية من بلاد الرافدين اثناء نزوحهم نحو جنوب البلاد، وقد حملت تلك الاثار صوراً معبرة عن الكفاح المستمر لتلك الجماعات من أجل تسخير الإمكانيات التي صادفتهم اثناء ترحالهم[١]، ولاننسى ونحن نتحدث عن علاقة البيئة بالإنسان الاشارة إلى عامل آخر لعب دوراً مميزاً في هذا الجانب الا وهو التطور الإحيائي[٢]؛ إذ كان بمثابة الحافز الرئيس لتطوير امكانيات الإنسان آنذاك، وان التراكمية التي جمعها من جراء صراعه مع الطبيعة كانت بمثابة الوسيلة التي من خلالها سخر تلك الطبيعة لصالحه وكانت النتيجة امتلاكه لتقنيات العمل متمثلة بابتكاره الأدوات والآلات واستخدامها لتسخير العقبات التي تواجهه في حياته الجديدة[٣].

لقد مرت تلك الجماعات اثناء ترحالها بأماكن ومواقع وبيئات كان لها نصيب وافر في وضع بعض لبنات البناء الحضاري لتلك الأقوام قبل بلوغ مرحلة النضج الحضاري الكامل بعد استقرارها بصورة دائمة في المناطق الجنوبية من البلاد، وكانت سامراء تقف في طليعة تلك الأماكن أو المواقع، إذ لعبت دوراً كبيراً في ترسيخ بعض أسس الحضارة العراقية القديمة، يمكن من خلالها القول بانها كانت مفصلاً وجهه باتجاه رسم معالم بدايات التكوين الحضاري للحضارة

(١) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص١٣٠.

(٢) النوري، قيس، بيئة الإنسان من منظور الثقافة والمجتمع، ص١٩١.

(٣) الجاسم، صباح عبود، مرحلة الانتقال من جمع القوت إلى إنتاج القوت في العراق وجنوب غرب آسيا، ص ٣٠و ٥٦.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

العراقية القديمة، وتمثل ذلك في اتساع مساحة القرى الزراعية وازدياد اعداد سكانها والتطور الحاصل في تخطيط وعمارة ابنيتها وتنوع في الفعاليات الاقتصادية إذ جمعت بين الزراعة وتدجين الحيوانات والصناعات الحرفية والتجارة فضلاً عن التطور الحاصل في الجانب الديني والاجتماعي، وهذا ما نحاول اثباته من خلال هذا البحث.

وإذا كان عصر حسونة يمثل مرحلة اخصاب (نقطة البدء في البناء) الحضارة العراقية القديمة[١].

فإن عصر سامراء هو الجنين الذي حملت به بيئة هذه المنطقة خلال تلك العصور الموغلة في القدم، وهذا بكل تأكيد جعل منها ان تكون واحدة من ارقى مناطق عصور قبل التاريخ في بلاد الرافدين على الاطلاق،

وقد اكدت ذلك البنية الاجتماعية لمراكزها الحضارية، إذ جسدت ذلك آنيتها الفخارية بما تحمل من تقنية ومشاهد فنية بحيث لا تضاهيها آنية الا آنية عصر حلف، وعلى الرغم من اختلاف أشكال تلك الآنية تبعا لمناطق صناعتها الواسعة الا انها كانت جميعها على مستوى واحد في الاسلوب الزخرفي والدقة الفنية، كل تلك الانماط تجلت في بقايا تل الصوان الذي يعد أهم مراكز حضارة سامراء على الاطلاق[٢]. وما يؤيد ذلك افران الفخار المنتشرة في الطبقات الثلاث الأولى في الموقع وبالتحديد في الطبقة الثالثة وهذه الافران استخدمت لشي الفخار وتشير اثار الحرق في المنطقة ان تلك الافران استخدمت لسنوات طويلة وولدت مع كسر الفخار الملونة التي انتشرت بكثرة في تلك المنطقة، ان فخار سامراء هو فخار محلي وان تل الصوان أحد المراكز الاساسية لصناعته وتوزيعه إلى المناطق والقرى المجاورة ليس في سامراء وحسب، بل في مناطق واسعة من العراق القديم[٣]. يضع اغلب المختصين في الدراسات القديمة في ضوء التصنيفات المناطقية هذه الحضارة ضمن حضارات الوسط في العراق القديم التي عبر عنها بأنها حضارة انتقالية بين الشمال والجنوب، ويدعم اصحاب هذا الرأي نظريتهم بافتراض وجود علاقات

(١) صاحب، زهير، أغنية القصب، ص١٤.

(2) Wailly. F and Abu Al-Soof. B.The Excavation at tell Es-sawwan first. 1964. P. 21

(٣) أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان، ص ٣٨.

نمطية بين مجتمعات الشمال والجنوب متمثلة بشبكة اتصالات عبر منطقة العراق القديم قبل ظهور أو توسع أساليب حضارة العبيد في الجنوب [١]، وقد احتلت مواقع هذه الحضارة أهمية كبيرة بين مواقع حضارات عصور قبل التاريخ في العراق القديم، واكدت ذلك نتائج التنقيبات العلمية، فالآثار المكتشفة بينت ان منتجي هذه الحضارة كانوا يعيشون مرحلة حضارية أكثر تطوراً من مثيلاتها من مواقع الحضارات الأخرى خلال تلك الحقبة، فالأبنية التي عثر عليها في مواقع سامراء ولاسيما في تل الصوان كانت أكثر تطورا من سابقاتها في جرمو وحسونة؛ إذ اكتسبت أسلوباً وطابعاً محليين، فالغرف كانت كبيرة وفرهة ولا يوجد مثيل لها في ابنية المرحلة السابقة ولا في أي مكان اخر [٢].

لقد برزت ولأول مرة احتمالية كبيرة في استخدامهم اقدم نوع من أنواع الري الاصطناعي، إذ عُثر على بذور قمح مكربنة من نوع أمير (emmer)[٣]. وحنطة أنكور(einkorn)[٤]. وأخرى لشعير بري مهجن فضلاً عن بذور الكتان وجميعها تعطي دليلاً على تلك الاحتمالية (الشيخ :٧١)، ولعل ما يعزز احتمالية ظهور الزراعة الاروائية في مواقع حضارة سامراء هو استخدام المحراث خلال تلك المدة وعلل كل من ديفد وجون اوتس ذلك من خلال زيادة مواقع هذا العصر بحيث بلغت مساحات واسعة[٥].

وقد قدمت الشواهد الآثارية ادلة على استخدام الري بالجداول بحدود ٦٠٠٠ ق.م في موقع جوخة مامي[٦]. وفيها دليل على وجود رابطة مع أقدم سكن في جنوب العراق من خلال معطيات تل عويلي ، وما يؤكد تلك الرابطة وجود تشابه كبير بين فخار الطبقات الدنيا في تل عويلي

(1) Blackhan. M. Further investigations as to the relationship of Samarra and ubaid ceramic assemblages Iraq .vol 58 .p. 7.

(٢) أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان، ص٤١.

(٣) بوتس، دانيال، حضارة وادي االرافدين الأسس المادية، ص١٠٢.

(٤) بوتس، دانيال، حضارة وادي االرافدين الأسس المادية، ص ١٠٤.

(5) Oates J.and Oates Long worthI.H D.Early irrigation agriculture Mesopotamia proplems in economic amd Social archaeology. P.119.

(٦) الشيخ، عادل عبدالله، بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق، ص ٩٤-٩٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

(العبيد الصغير) وفخار جوخه مامي الانتقالي سواء من حيث الشكل أو الزخرفة إلا أن ذلك لا يعني انه يمثل طفرة تطورية لفخار جوخه مامي الانتقالية، إذ إن فخار العويلي، امتاز ببساطة زخارفه التي تميل إلى الاشكال الهندسة أكثر من فخار جوخه مامي[١].

المبحث الأول

عمارة وتخطيط الدور والمباني

البدايات الأولى للبحث في موضوع ظهور الدور السكنية لأول مره في شمال العراق تبدأ من قرية زاوي جمي باعتبارها اقدم مستوطن سكني مكتشف في شمال العراق واول قرية من نوعها في العالم بحسب الدليل المادي المتوفر في ضوء نتائج التنقيبات الأثرية، واشارت نتائج تنقيبات الاثارية سوليكي فيها إلى وجود مخلفات المرحلة الانتقالية وهي على بعد متر أو مترين من سطح التل، ويتصدر تلك المخلفات بقايا لمنازل شيدها سكان هذا المستوطن من الطين القائم على اسس من حجارة الحصى الكبيرة، وتشير معالمها إلى انها كانت تمثل اكواخ مستديرة الشكل غير منتظمة قطر الواحد منها حوالي مترين[٢].

ومع بساطتها الا انها ذات أهمية كبيرة باعتبارها اقدم بيوت شيدها الإنسان في شمال العراق وفقا للدليل المادي في ضوء التنقيبات الأثرية التي اجريت في المنطقة، لايزال الباحثون يجهلون الدافع من وراء تشييد تلك المنازل على شكل مستدير، وربما ان مستوطني ذلك العصر الذين امتهنوا الصيد بدليل مخلفات عظام الحيوانات البرية المكتشفة في الموقع وان اولئك الصيادين قد احتفظوا بالحيوانات الصغيرة ونحروا الحيوانات الكبيرة واحتفظوا بتلك الحيوانات ونقصد الصغيرة منها في حفر يقيمونها في الأرض لحمايتها من الحيوانات الضارية من جهة وحتى لا تنهزم من جهة اخرى، وربما من هنا اتخذ اولئك المستوطنون الفكرة في تخطيط وتشيد تلك المنازل البدائية، وقد شيدت تلك المنازل بدون تنظيم أو تصميم مسبق الغرض منها توفير ملجأ يحميهم من الظروف البيئية القاسية والحيوانات المفترسة، ولم يعط نمط الحياة البدائي آنذاك مجالا للإنسان في التفكير في تشيد تلك البيوت وفق عناصر عمارية ذات

(١) ليبو، مارك، لمحة عن فخار مرحلة العويلي، ص ٢٩.

(2) Solecki ,R,1980,p53

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

جانب ترفيهي بل كان الغرض منها توفير الحماية فقط [١]. وشهد عصر جرمو تطورا في تخطيط وعمارة المباني اهمها ظهور البناء بالخط المستقيم أو التخطيط المضلع خلاف ما كان عليه في المرحلة السابقة[٢]. وعد ذلك في نظر المختصين ثورة في مجال تخطيط وعمارة المباني [٣].

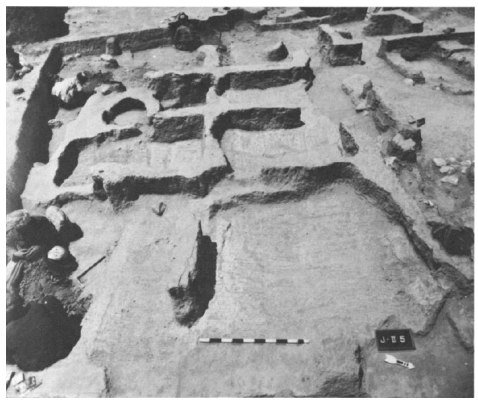

تخطيط وعمارة المباني من جرمو

ظهر ذلك التخطيط أكثر تطورا في حسونة إذ ازدادت البيوت سعة وتقنية تكونت من أجزاء عدة منها غرفة الخزن وأخرى خاصة بالمعيشة وفي احداهما تنور خبز بدائي وفي اخرى عثر على جرار ومطاحن حجرية وزودت جدران تلك الغرف بالدعامات من الخارج والداخل لغرض تقويتها[٤]، ويبقى ظهور المخازن أهم مستجدات هذا العصر، إذ عثر على عدد كبير من المخازن بلغ أكثر من ثلاثين مخزنا وما يميزها هو شكلها الكروي وقد شيدت على قاعدة كبيرة وبارزة وانتهت من الأعلى بفوهة كبيرة السكنية [٥].

١ – تخطيط مباني سامراء:

لقد بلغ التطور في تخطيط وعمارة البيوت السكنية مرحلة متقدمة خلال عصر سامراء دلّت على ذلك نتائج التنقيبات الأثرية في المواقع الاثرية التي حملت خصائص هذا العصر، وبالرغم من ان تخطيط مباني العصر السابق ذات الشكل المستطيل بجدران مشيدة بلبن مستطيل وغرف تحيط بساحة مكشوفة ظل شائعاً خلال هذا العصر مع وجود السلالم الخارجية المشيدة من الجص التي

(1) Braidwood and howe. prehistoric Inver stigations in Iraq Kurdistan. Studies in Aneient oriental Civilisations. No 3 . p. 36.

(٢) الأعظمي، محمد طه، الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، ص٥.

(3) Clarke.1974.p.167.

(4) loyd and safar. Tell Hassuna; Excavation by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944. JNES .vol 4.No.4.1945.p. 271.

(5) Wailly. F and Abu Al-Soof. B.The Excavation at tell Es-sawwan first. 1964. P. 17.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

استخدمت للصعود إلى أعلى الأبنية حيث توجد المخازن والأمور الاخرى، فضلاً عن وجود الدروب المرصوفة بالحصى والتي يعاد رصفها بين الحين والاخر، إذ أشارت تنقيبات تل الصوان وبالتحديد الطبقة الثالثة إلى وجود ثلاث طبقات من الحصى، واستمرت تلك الدروب في الطبقتين اللاحقتين، وكانت تلك الدروب تبدأ من مركز المستوطن وتنتهي عند الأطراف[١]، واشارت نتائج التنقيب إلى وجود مستجدات مهمة حملت مظاهر حضارة هذا العصر كان في مقدمتها ظهور مبان تحمل تخطيطاً يشبه حرف T اللاتيني وبزوايا تتجه نحو الجهات الأربع الأصلية مكونة بناءً ثلاثي الأجزاء مثل مرحلة انتقالية تطورية في تخطيط وعمارة البيوت السكنية[٢]. فضلاً عن ظهور الطلعات والدخلات لأول مرة قبل ان تصبح سمة حضارية وخاصية اختصت بها الحضارة العراقية القديمة خلال العصور اللاحقة ولاسيما مع واجهات الأبنية الدينية والسكنية وملحقاتها، وقد ورد الدليل حول وجود الطلعات والدخلات في تقرير تنقيبات كل من جوخة مامي وتل صنكر من هذا العصر، ويبقى اوضح نموذج لظهورها خلال هذا العصر هي الطبقات (١٩-١٥) من موقع تبه كوره إذ امتازت بتناوبها مع الدعامات ولاسيما على جدرانه الخارجية[٣]، الا ان البداية كانت من تل الصوان وبالتحديد من الطبقة الثالثة A وكانت على هيئة بروزات طفيفة للجدران)[٤].

٢ - تسقيف المباني:

من الطبيعي أنّ تشييد الجدران المستخدمة في بناء البيوت السكنية كانت بحاجة للغطاء وهو الجزء الأهم في تشييد الأبنية ليكمل فكرة المأوى، وهذه الفكرة كانت مرتبطة تماماً بالبيئة التي شيدت فيها تلك الأبنية إذ يتم الاستغناء تماماً عن السقوف في قسم منها وفي القسم الاخر كانت سقوف بسيطة، وكان ذلك مرتبطاً بمستوى الأداء الوظيفي أكثر مما هو مطلوب في الجدران وخاصة في المناطق

(١) أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان، ص ٣٩.

(2) Wailly. F and Abu Al-Soof. B.The Excavation at tell Es-sawwan first. 1964. P. 17

(3) Sieverts. U. "Frühe Pfeiler-Nischen-Architektur aus Tepe Gawra und Telul eth-. Papers Assyriolo gique Internationale .p. 203.

(4)Mesopotamia Before History.p.62، London and New York، P، 25 Charvát

الحارة[1].

وبما ان السقف يشغل الجزء الأعلى من البناء؛ لذا كان الأكثر عرضة لعوامل التجوية، فضلاً عن كونه يكمل فكرة المأوى؛ فإنه يعمل على ربط اجزاء البناء مع بعضها البعض إنشائياً ليزيد من قوة تحمل تلك الأبنية[2].

ان اعمال الحفر والتنقيب في المواقع الاثرية ولاسيما الخاصة بعصر سامراء لم تظهر لنا بدقة الطرز السائدة في تسقيف تلك الأبنية مما جعلنا نجهل عناصر وأساليب تسقيفها على وجه الخصوص ولكن يبدو ان تلك الأبنية بخصائصها العمارية كغيرها من الأبنية البدائية من العصور السابقة قد سقفت بما هو متوفر من مواد اولية في المنطقة كأغصان الأشجار والحشائش وجلود الحيوانات التي كان يصطادها آنذاك، إذ كانت عيدان الأشجار أو اغصان الأشجار تفرش فوقها الحصران ثم تسيع بطبقة من الطين، ويلاحظ في استخدام العيدان والأغصان في تسقيف البيت لتكون قوية لتتحمل وزن الطين الذي يغطيها، وفي حالة وجود مسافات كبيرة عند ذاك توضع الجسور لتحمل السقف، ثم تنشر طبقات من القصب بصورة متساوية[3].

وأذا أخذنا بنظر الاعتبار بعض المعلومات الاستنتاجية، المبنية على أساس ما قدمه المختصون بعلم الجيولوجيا من معلومات مفادها ان البيئة الطبيعية والمناخ بقيا على حالهما ولم يتغيرا منذ عصر الهليوسين إلى يومنا هذا، فذلك يعني ان نشاطات الإنسان لازالت متواصلة ولم تحدث عليها تغيرات جوهرية، وان التحدي الذي واجهه الإنسان في السابق لايزال قائماً ولاسيما في المناطق المفتوحة (القرى والأرياف) باعتبارها البيئة الأكثر تشابها مع بيئة الإنسان الحجري الحديث. إذا كانت القناعة متوفرة في ذلك فهذا يعني ان نشاطات الإنسان في السابق هي نفسها لازالت مستمرة إلى يومنا هذا، وهذا يعني ان تقنية السقوف الجملونية التي تستخدم بكثرة اليوم في منطقة سامراء هي بلا شك كانت تستخدم في السابق، ان إثبات ذلك على أرض الواقع يعد من الأمور الصعبة

(١) السهيري، عاطف محارب، إنشاء المباني، ص١٦١.

(٢) العميري، ابراهيم، مواد وتقنيات العمارة القديمة، ص١٨١.

(3) Braidwood and howe. prehistoric Inver stigations in Iraq Kurdistan. Studies in Aneient oriental Civilisations. .p. 159.

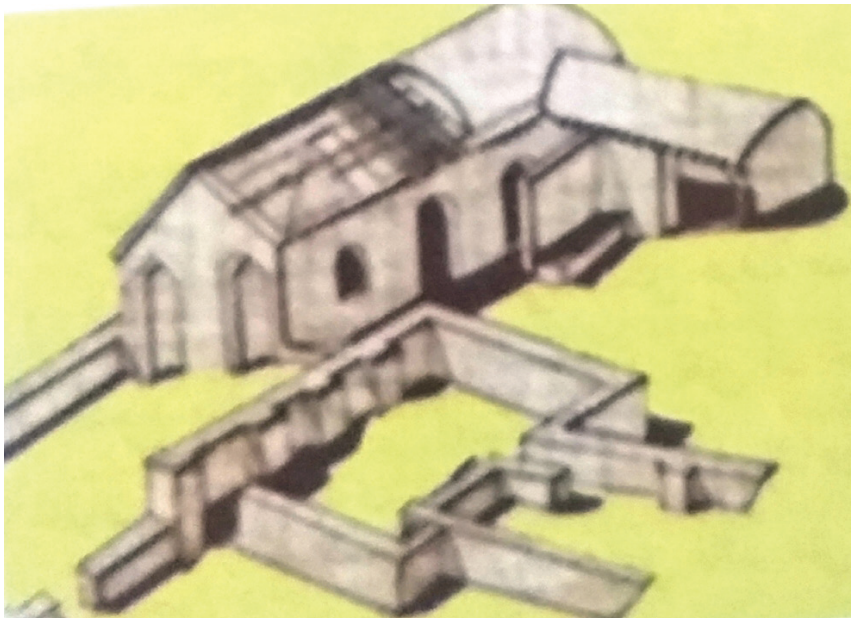

السقوف الجملونية

جداً لعدم وجود ادلة مادية ملموسة، وما يزيد من صعوبة ذلك ان هذه التقنية بحاجة إلى امكانات مادية كبيرة وامكانات فكرية عالية لتشييد ذلك النوع من السقوف، وبما ان إمكانات إنسان ذلك العصر كانت بدائية فمن الصعوبة إثبات وجود هكذا تقنية[1] وإذا تفحصنا الآراء الواردة حول الطرق المستخدمة في تسقيف المباني خلال تلك المرحلة فإننا سنقف عند حد من القناعة بالرأي القائل ان التسقيف كان يمتاز بالميلان لإحدى الجهات هو الأكثر استخداماً آنذاك.

(١) الشيخ، عادل عبدالله، بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق، ص ١٣٥.

٣- مواد البناء:

تشير نماذج طرز الأبنية العمارية من مواقع حضارة سامراء إلى استخدام أنواع مختلفة من مواد البناء في تشييدها، ويأتي الطوف في طليعتها، ولعل سبب كثرة استخدامه هو كونه يمثل التقنية الأكثر استعمالا خلال العصور السابقة ولاسيما من عصر جرمو مروراً بعصر حسونه، إذ شيدت الجدران في اغلب مواقع تلك العصور على أسس مشيدة من الحجر، وسبب ذلك واضح؛ لحماية الجدران من آفة الرطوبة والأملاح التي دائماً ما تهدد الأبنية بصورة عامة والأبنية الطينية بصورة

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

خاصة[١]، إذ ان مكونات الطوف الرئيسة هي الطين الممزوج بمجموعة من المواد المتوفرة في البيئة كالرمل والتبن وفضلات الحيوانات، ويتم تشكيله باليد على شكل كتل بحجم اليدين الا انها لم تكن متساوية الاحجام، وبدأ استخدامه أول الأمر في تشييد أقدم البيوت المكتشفة في جرمو وحسونة[٢] إذ تشير التنقيبات الأثرية في جرمو إلى ان مادة البناء الأساسية التي شيدت بها الجدران هي الطوف وكان يعمل باليد بهيئة صفوف من الطين يترك معرضا لأشعة الشمس وتيارات الهواء مدة من الزمن ليجف قبل إضافة الصف الآخر فوقه، وهكذا بالنسبة للصفوف التالية، وتقتضي التقنية المستخدمة في تشييد الجدران من الطوف بجعل الجدران في الاسفل أكثر سمكا مما هي عليه في الأعلى[٣] للزيادة من قوتها وتحملها، ولإضفاء جمالية عليها ملطت من الخارج باليد بعد ترطيبها بالماء، ولم تستخدم مادة رابطة في البناء كون الطوف يبقى طريا اثناء عملية البناء، واستمر استخدامه كمادة انشائية رئيسة لمدة طويلة من الزمن قبل ان يتلاشى استخدامه تدريجيا مع مطلع الالف الخامس قبل الميلاد واستبداله بمادة اللبن لتصبح أساس تشييد الأبنية خلال العصور اللاحقة .[٤].

لقد شهدت مرحلة سامراء ابتكارات غاية في الأهمية تمثلت بولادة عناصر بنائية جديدة لم تكن مألوفة في السابق، فمن جدران الطوف التي كانت سائدة قبل وخلال المراحل الأولى من هذا العصر ولد جدار اللبن، وبالرغم من استخدامه بنسب قليلة جداً كما اشارت التنقيبات الخاصة بمواقع هذا العصر ولاسيما في تل الصوان عند نهاية الالف السادس قبل الميلاد [٥].

الا انه جعل من جدران الأبنية ان تكون أكثر صلادة وانتظاما مما كانت عليه

(1) Kirkbride, D: Umm Dabaghiyah, 1971, A preliminay Report, Iraq, Vol. 34, No.1, p7.

(٢) الدليمي، عادل عبد الله، «مواد الإنشاء الرئيسة في العمارة العراقية القديمة»، حلقة دراسية عن فن العمارة العربية قبل الإسلام واثرها في العمارة بعد الإسلام، ص٩٢.

(3) Braidwood and howe. prehistoric Inver stigations in Iraq Kurdistan. Studies in Aneient oriental Civilisations. No 3 .p. 156.

(٤) النعيمي، هاني محي الدين، البيئة في الفن التشكيلي في حضارة وادي الرافدين، ص٧١.

(5) Oates, J.: Early Farming Communities in Mesopotamia , p. 169.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

خلال المرحلة السابقة، واللبن هو الاجر غير المشوي أو المفخور أي عبارة عن كتلة من الطين المقولب أو المنتظم المجففة بأشعة الشمس، ذكر في اللغة السومرية بصيغة (Sig4) **وفي الاكدية بصيغة لِبِتُّ** Libittu (CDA, P 181).

قطع إنسان عصر سامراء شوطا كبيرا في ميدان تخطيط وعمارة المباني، ويظهر ذلك من خلال الاساليب والانماط التي ظهرت عليها ابنية قراها، إذ احيطت تلك المواقع بأسوار وخنادق دفاعية وانحصرت الأبنية ونظمت بشكل مجاميع من البيوت اصطفت على جانبي طرق وممرات وبصورة عشوائية تفرعت منها أزقة ضيقة تخللتها ساحات مفتوحة لأغراض عامة، واستمر هذا التخطيط في المدن بعد ذلك على اختلاف مساحاتها واهميتها.

المبحث الثاني

أولاً: الصناعة والفنون:

أظهرت أعمال الحفر والتنقيب في مواقع حضارة سامراء في ضوء آخر المكتشفات الأثرية إلى ظهور صناعات مميزه خلال هذا العصر، ولعل أهمها صناعة الملابس، إذ دلت على ذلك بعض الآثار المكتشفة في دور تل الصوان ومنها الإبر التي استخدمت في حياكة الملابس آنذاك إذ كشفت نتائج تنقيبات الموسم الرابع في الصوان عن وجود عدد كبير من الإبر والمخارز، وهي تعطي دليلاً عن صناعة الألبسة من مواد توفرت بكثرة خلال تلك المدة ومنها جلود الحيوانات وأصواف الخراف وشعر الماعز، وقد استخدمت المغازل ذات الأقراص الفخارية والحجرية في صناعة النسيج، فضلاً عن أدوات استخدمت في صبغ المنسوجات[١].

واشتهر هذا العصر بصناعة السكاكين والمناجل التي صنعت من حجر الابسيديون والتي استخدمت في تحضير الطعام والدفاع عن النفس، وتبقى صناعة الفخار أهم ما يميز هذا العصر، وكانت آنيته الفخارية مرتبطة بشدة مع مثيلاتها في مواقع الحضارات الأخرى في بلاد الرافدين خلال عصور قبل التاريخ ومنها حضارات الشمال (تل حسونة) وحضارات الجنوب (العبيد)[٢]، ويستنتج

(١) أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان الموسم الرابع، ص٤٥.

(2) loyd and safar. Tell Hassuna; Excavation by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944. JNES .p. 259.

من دراسة المخلفات الأثرية التي عثر عليها في تلك المواقع من تلك المرحلة ان مستوطني ذلك العصر بدأوا يدركون أشياء أخرى من تلك الصناعة غير فائدتها في اعمالهم اليومية، ومنها الرغبة في الابداع فضلاً عن التفنن في جمالية زخرفتها وربما دلالاتها الرمزية التي ربما تحمل معنى ولغة وهي بدون شك تمثل بدايات ظهور الفن التجريدي، وقد بلغ فخار هذا العصر مرحلة عالية من التطور، ويظهر ذلك من خلال تأثيرها الواضح على مثيلاتها في الجنوب والبلدان المجاورة، ففي الجنوب وجد ارتباط وثيق بفخاريات هذا العصر، وقد اثبتت ذلك تحليلات قامت بها بعثة فرنسية عملت في تل العويلي، إذ اثبت من خلالها الباحث ليبو (Lebeau) ان فخاريات العصر المبكر من العويلي كانت متأثرة بصورة مباشرة بفخار سامراء، وان ٤٨٪ منها سامرائية النمط[١].

وعناصر تزيينها ترمز إلى اشياء معينة لا يمكن فهمها بدقة، قسم منها رتب على هيئة صليب معقوف في مركز الوعاء تلتف حوله زخارف بتصاميم غاية في الروعة تبدأ من الحاشية برسومات هندسية ملونة باللون الاسود بصورة مكررة وإلى الداخل تصطف ثمانية أسماك لتشكل دائرة تلتف حول مركز الإناء تنبري منها أربعة أسماك تسبح باتجاه المركز تصطادها أربعة طيور، وهذه الزخارف دفعت منقب الموقع إلى الاعتقاد باحتمالية معرفة مستوطني هذا الموقع بالنظام الستيني وهو أعلى نظام حسابي استخدمه العراقيون القدماء في عملياتهم الحسابية المعقدة، وقد استدل على ذلك من خلال الخطوط القصيرة التي تحيط بالإناء بحيث يكون هناك ١٢٠ خطاً مقسمة إلى أربعة أرباع كل ربع يضم ٣٠ خطاً وهي تمثل بحسب اعتقاد المنقب الجهات الأربع، وأربع نساء يرقصن بشعر هفاف يتمايل إلى الجهتين، وقد عثر على هذا الوعاء المصنوع من الفخار اثناء تنقيبات البعثة الالمانية برئاسة ارنست هيرزفيلد خلال المدة من ١٩١١- ١٩١٤ في مدينة سامراء الأثرية[٢].

واخريات بهيئة طيور تلتقط في مناقيرها الاسماك، فضلاً عن وجود زخارف بهيئة تيوس جبلية، وتشير الدلائل

(1) Blackhan. M. Further investigations as to the relationship of Samarran and ubaid ceramic assemblages Iraq .vol 58 .p.6

(2)ErnstHerzfeld,Dievorgeschichtlichen Töpfereien von Samarra, Die Ausgrabungen von Samarra 5, p. 56.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

المستوحاة من قراءة أفكار رقصة استنزال المطر ودقة عملها انها انعكاسات لمجتمع كان الصيد عماد اقتصاده [١].

وان سكانه بدؤا يدركون اشياء ومستجدات جديدة لم تكن مألوفة في السابق ومنها اقتناء ما هو مفيد سواء من حيث تقنية الصناعة أو شكل الآنية، وبلا شك ان سبب ذلك يعود إلى حالة الترف التي وصل إليها سكان هذا العصر [٢].

وما يميز هذا العصر التطور الحاصل في صناعة المنحوتات الفخارية البشرية الانثوية التي بدأت بالظهور خلال عصر حسونه، ويكمن جوهر ذلك التطور في الافكار المرتبطة بهذا النوع من المنحوتات الفنية، وهي تظهر نشاط الوعي الحسي للفنان في تكوين وحدة تعبيرية في صميم الادراك الحسي المباشر، فضلاً عن تراكمية خبرته في اختيار المادة الطينية المناسبة لصناعة تلك التماثيل والخطوات التي يخطوها لأجل تهيئتها للتشكيل الفني من خلال خلطها بمواد أخرى لكسب المطاوعة أثناء التشكيل والصلادة بعد الانتهاء من التشكيل، ولاسيما ان تماثيل هذه المرحلة امتازت بكبر حجمها قياساً بالعصر السابق.

وقد استخدم الفنان طرقاً عديدة في صناعتها كانت أهمها طريقة التجميع التي تقتضي تجميع أو ضم أجزاء الجسم كالأرجل والايدي والرأس والاثداء إلى الجذع الذي كان بمثابة مركز العمل بعد ان عملت بشكل منفصل، وقد استخدم الطين المسيع في عملية الضم أو الالتحام، وتشير الدراسات الفنية التي اجريت على تلك التماثيل ان السامرائيين انفردوا عن سابقيهم بإدخال القالب في صناعة قسم من تلك الأجزاء، وما يؤيد ذلك هو ظهور طبعة حافة القالب على جانب التمثال ولاسيما على جانب الفخذ والساق [٣].

(١) موتكارت، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ص٢٢.

(٢) بارو، اندريه، التنقيبات الأثرية في لارسا، ص٧٨.

(٣) صاحب، زهير، أغنية القصب، ص١٩٨.

اما بالنسبة لسطوحها الخارجية فتشير الدراسات إلى الاهتمام الكبير المتمثل في صقلها ونعومتها لإضفاء الجمالية عليها أو لتكون مهيأة لرسم الملابس والوشم من خلال وضع الألوان المناسبة، وعادة ما كان يتم ذلك من خلال دلكها بصورة جيدة أو غمسها بمحلول طيني ليكسو التمثال طبقة طينية خفيفة تزيد من نعومة سطحه الخارجي، وقد امتازت هذه التماثيل بأوضاع حركية مختلفة تراوحت بين السكون والحركة قسم منها كان من وضع الوقوف واخريات كانت من وضع الجلوس واغلبها كانت تأخذ الوضع الأول، وقد ادرك الفنان موضوع الاتزان من خلال كبر مساحة الارجل في وضع الوقوف أو عمل زيادة في منطقة الورك للتماثيل من وضع الجلوس[١].

اما بخصوص الوضع الحركي لتلك التماثيل فانه بلاشك مرتبط بمضامين وافكار كانت تدور في خلد ذلك الإنسان لا يمكن فهمها بصورة جيدة، كوننا نتعامل مع صوامت، ويبقى الاستنتاج هو الحل المتيسر في استنطاق تلك الحركات للتعبير عن فلسفة ذلك الإنسان عن طريق مخيلتنا الفلسفية في تحليل ماهيتها الافتراضية، وتبقى تلك الاستنتاجات تدور في رحى الاحتمالية لعدم توفر الدليل الكافي لتتطابق فلسفتنا مع فلسفة ذلك الإنسان في نظرته لمعاني أفعال تلك الحركات، ففي احدى التماثيل من وضع الوقوف نجد حركة الايدي بصورة ضاغطة على اسفل البطن فسرها اغلب المختصين بأنها تمثل سمات رمزية تتعلق بظاهرة العقم وهي احدى الظواهر التي يبدو انها كانت مستشرية في المجتمع السامرائي آنذاك، فالحركة هي طقس فيه تضرع للفوز برضا الآلهة من اجل تجديد الخصب وتجدد الحمل[٢].

ويشير أحد التماثيل التي عثر عليها في احدى مقابر عصر سامراء متمثلة بامرأة من وضع الجلوس وهي ترفع ثدييها بيدها إلى الأعلى، فقد ربطت فلسفة الباحثين المحدثين ذلك بالنظم الاجتماعية التي كانت شائعة آنذاك ومنها رمزية الحركة الخاصة بطقوس الخصب والحمل الناجح الجيد[٣].

وإذا تفحصنا ما يدور في المجتمعات الحديثة (القروية) الشبيه لحد ما بتقاليدها

(1) Oates, J.: Early Farming Communities in Mesopotamia .p.146.

(٢) صاحب، زهير، أغنية القصب، ص٢٠٢.

(٣) صاحب، زهير، أغنية القصب، ص٢٠٣ .

لتلك المجتمعات فإننا امام موروث حضاري مشابه لا يزال يجري إلى يومنا هذا يتمثل بنشر المرأة شعرها بشكل اشعث مع رفع ثدييها بيديها إلى الأعلى لغرض التضرع إلى الاله (الله) للتخلص من ضائقة ألمت بتلك المرأة عجزت عن وجود حلول لها في محيطها التي تقطنه لذا لجأت إلى عالم ما وراء الطبيعة.

لقد امتازت تماثيل سامراء بالواقعية ويتضح ذلك من خلال نحت اجزاء الرأس والوجه على وجه الخصوص إذ كانت بأحجام طبيعية تقريباً فالأنف في وسط الوجه وعلى جانبيه عينان كبيرتان وإلى الأعلى عقد الحاجبان والتقى في أسفل الجبهة أعلى الأنف تقريباً كما حملت الوجنتان خطوطاً تمثل وشماً لايزال يستخدم إلى يومنا هذا، فهو يمثل الاستمرارية في الإرث الحضاري فضلاً عن وجود الحلي التي كانت ولاتزال تزين أرنبة الأنف، وكذلك صبغ أظافر القدمين وهي ظاهرة لاتزال تعمل بها الفتيات العراقيات إلى يومنا هذا، فضلاً عن ذلك فإن تماثيل سامراء تظهر خاصية مهمة من هذا العصر تمثلت بجانب جمالي تميزت به نساء سامراء وهو طريقتهن في تصفيف الشعر؛ إذ تشير تلك التماثيل إلى قيامهن بتصفيف شعرهن من خلال تكويره في مؤخرة الرأس ويربط بنوع خاص من أغطية الرأس ليعطي شكلاً مخروطياً يبدأ من بداية الجبهة، ويعبر عن ذلك تارة بالنحت واخرى عن طريق رسم خطوط سوداء.

تماثيل من عصر سامراء

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

ثانياً: الاستحكامات الدفاعية:

وإذ سلمنا بوجود تطور إحيائي خلال هذا العصر فإننا سنقف عند تطورات جديدة تظهر لأول مرة خلال هذا العصر الا وهي التحصينات الدفاعية (الأسوار والخنادق)، وهي أنماط عمارية ابتدعها مستوطنو ذلك العصر الغاية منها الحد من خطر حدوث النزاعات بين تلك المستوطنات ومنع الأغراب الذين اخذوا يتسللون بين الحين والآخر لتلك المستوطنات[١]، أو بسبب ظهور هجرات ربما كانت تتخذ طابعاً حربياً نتيجة للتحدي الذي واجهته تلك الجماعات بسبب انخفاض كميات المطر مسبباً القحط الذي بدوره أدى إلى انخفاض في كميات الإنتاج الزراعي والحيواني وكانت الاستجابة تتمثل بظهور بعض التحرشات بممتلكات المستوطنات المستقرة، مما حدى بتلك المستوطنات إلى اتخاذ التدابير اللازمة للتصدي لتلك الأقوام، وكانت تتمحور حول تشييد الاستحكامات الدفاعية ولأول مرة ظهرت في تل الصوان أحد أهم مراكز سامراء تحضرا، وبالتحديد في التل B من تل الصوان وجدت مجموعه من الأبنية محاطة بسور مشيد من اللبن وفيه ثلاث بوابات وخلف السور من الخارج وجد خندق يحيط بالمباني، وتشير تنقيبات الموسم الرابع عام ١٩٦٧ إلى اتمام استظهار اجزاء الجدار المحيط بالخندق والذي شيد بحسب رأي منقب التل مع بداية زمن الطبقة الثالثة وقد أجريت عليه اعمال صيانة لاحقة من زمن هذه الطبقة[٢]. ولم يكن سور الطبقة الثالثة من تل الصوان هو السور الوحيد خلال هذا العصر بل وجدت مثيلات له في مواقع اخرى من هذا العصر وكان من أهمها السور الدفاعي المحيط بمستوطن جوخه مامي وكانت بقايا هذا السور الدفاعي تحيط بأبنية القرية، وقد استدل على هذا السور عن طريق بقايا برج مشيد من اللبن يرجح ان يكون أحد ابراج مدخل القرية[٣]، وفي تل صنكر وهو أحد مواقع هذا العصر عثر على سور دفاعي يحيط بالموقع على غرار ما موجود في تل الصوان وجوخة مامي[٤].

(١) بارو، اندريه، التنقيبات الأثرية في لارسا، ص٧٩.

(٢) أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان الموسم الرابع، ص ٣٧-٣٩.

(٣) أوتس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص١٢٨.

(٤) فوجي، هيديو، التنقيبات في تل الكبة تلول صنكر حميديات، ص٣٤.

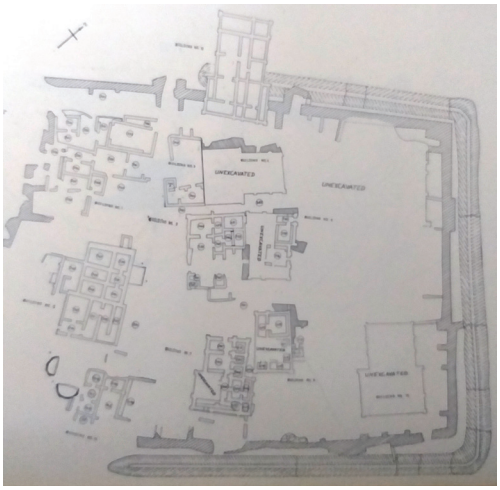

مخطط للخندق الدفاعي
والسور الطبقة الثالثة تل الصوان

ومن بين الاستنتاجات المهمة حول ظهور مستجدات حضارية خلال عصر سامراء هو ظهور الاستحكامات الدفاعية في قرى ومراكز هذا العصر، ويعلل الكثير ذلك نتيجة للنمو الاقتصادي الذي شهدته تلك القرى مما حدى بمستوطنيها إلى إقحام أنفسهم للقيام بتلك الاعمال الجبارة التي تحتاج إلى جهود مضاعفة، وهذا بدوره يعطي انطباعاً عن وجود تنظيمات سياسية وادارية ظهرت نتيجة للنمو الاقتصادي وسعة تلك القرى، وربما تكون هذه الأعمال هي بداية لظهور نظام الإدارة في بلاد الرافدين[١].

ثالثاً: الديانة والطقوس:

يعد الدين واحداً من أهم المظاهر الحضارية التي أولى لها الإنسان العراقي القديم اهتماماً منقطع النظير، ولعلنا نلمس ذلك من خلال ما تركه لنا من مخلفات مادية عبرت عن نشاطاته اليومية، ومن خلال إلقاء نظره سريعة على مخلفات عصر سامراء الاثرية سنضع أنفسنا أمام مشكلة تتعلق بندرة المخلفات ذات الصلة بالديانة والطقوس، فالبنايات المخصصة لأداء الطقوس الدينية كانت نادرة جداً قبل عصر العبيد[٢]. ومع قلتها إلا أنها أعطت تصوراً حول قدرة وإمكانية الإنسان آنذاك في التفكير بالمحسوسات وبالتالي تكونت لديه مجموعة من الرموز الروحية في ظاهرها أفكار تحمل مضامين فيها تحفظ من عوالم الغيب تمحورت بالدرجة الأولى حول قوى الانتاج لضمان توفير لقمة العيش، وقد أعطت مفاهيم عن تطور الفكر الديني لدى إنسان هذه المرحلة من عصور قبل التاريخ، تعبر عن عالم مليء بأرواح وقوى وهمية وغير مرئية، وتشير الدراسات المعنية بفخاريات هذا العصر إلى ظهور رسومات وزخارف كانت تحمل دلائل على ظهور

(١) الأعظمي، محمد طه، الاسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، ص١٥.

(٢) أوتس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص١٨٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

بوادر جديدة على الحياة الاجتماعية لسكان هذا العصر وهي تحمل رموزاً عبرت عن قضايا تتعلق بالسحر كوسيلة للتقرب إلى القوى الغيبية التي كانت تحكم ذلك المجتمع في نظر سكان بلاد الرافدين، وهذه الرسومات لم تكن ذات غاية جمالية أو فنية، بل كان الغرض منها غاية دينية للاستسقاء وانزال المطر، كونه يمثل عصب الحياة؛ لارتباطه بالزراعة المصدر الرئيس لمعيشة الإنسان آنذاك، وهذه الرسومات تمثلت برسم مجموعة فتيات يقفن على شكل دائرة تمسك احداهن بيد الاخرى على هيئة حلقة دائرية وهنّ يحركن بجدائل شعرهن نحو الجانبين، وقد اختلف الباحثون في تفسير الغاية من تلك الرسوم إذ يرى قسم منهم انها وجدت لترويض الطبيعة، وانها تعبر عن قلق نفسي لدى[١]. مستوطني هذا العصر من خلال جهلهم بماهية تصرف قوى ما فوق الطبيعة، وجاءت تلك الرقصات لتكون بمثابة الدواء للداء المستشري في المجتمع السامرائي آنذاك، وبمرور الزمن اعتاد السكان على أدائها في مناسبات ثابتة وان المظهر الحركي لتلك النسوة قد فسر على انه آلة للترفيه عن النفس ولاسيما للّاتي فقدن اطفالهن لأسباب مختلفة أو ممن انقطعت عنهن دورة الحمل للحصول على ولادات جديدة، وباختصار كانت تعبر عن (الرغبة بالتقاط المقبل قبل حدوثه حرصا على احداثه)[٢].

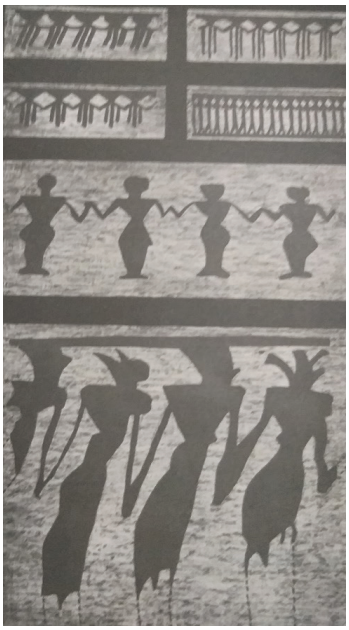

لقد كشفت الطبقة السفلى من تل الصوان عن عدد من الأبنية وكانت تخلو من الآثار المنزلية، وقد عثر فيها على مجموعة من مواد الدفن مصنوعة من حجر المرمر الشمعي دفع ذلك منقبي الموقع إلى الاعتقاد باحتمالية كون هذه الأبنية كانت أبنية دينية[٣]. الا انها خلت من أي نشاط ديني عدا بعض البيوت

(١) صاحب، زهير، أغنية القصب، ص٣٢٨.

(٢) صاحب، زهير، أغنية القصب، ص١٠٨.

(٣) أوتس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ص١٨٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

في جوخه مامي من عصر سامراء عثر على دليل واحد اشار إلى نشاط طقسي في غرفة صغيرة (١،٧ × ١،٧م)، وقد اقيم في كل زاوية منها عتبة صغيرة وفيها مجموعة من المواقد والاحجار وعليها اثار حرق، وكانت مطلية بعناية[١]. تشير الدلائل الاثرية المستوحاة من الاثار المكتشفة إلى استنتاجات غاية في الاهمية مفادها ان العبادات خلال المدة المبكرة من زمن هذا العصر كانت متعلقة بالزراعة الديمية ومقتصرة على عبادة الخصب والانماء، إذ وجدت في الطبقة الأولى من تل الصوان المركز الرئيس لحضارة سامراء العديد من تماثيل الآلهة الأم ولاسيما في المقبرة، وهذا يعني ان تل الصوان كان مركزا رئيسا لعبادة الآلهة الأم عند مطلع الالف السادس قبل الميلاد، وربما اقيمت لهذه الآلهة مزارات ومعابد في مناطق أخرى[٢]، وسرعان ما تغيرت خلال المدة المتأخرة وتحولت إلى عبادة الماء، والتفسير المنطقي لهذا التغير هو التحدي الذي سير الإنسان نحو ذلك التغير، فمعطيات الزراعة التي كانت سائدة عند بداية هذا العصر انخفضت بسبب قلة مياه الأمطار خلال المدة المتأخرة من زمن هذا العصر التي تتوافق تماماً مع عصر سامراء، إذ ان مواصفات موارد البيئة الطبيعية هي من حدد النقلة النوعية في حياة ذلك الإنسان، استمرت معها افكار عبادة الخصب والتكاثر التي كانت شائعة آنذاك وفيها الخصوبة تتكامل قيمتها لوجود مطر كافٍ لديمومة الزراعة وإعالة الحيوانات التي هي مصدر أساسي لتأمين غذائه، وكل هذا حدث في المنطقة الواقعة جنوب المناطق الممطرة التي تنتهي عند قرية تل الصوان، ونشأت معها تدريجيا عبادة الماء الذي أخذ يؤثر تأثير كبير في عملية الإنتاج، إن تذبذب كميات المطر خلال تلك المرحلة بين سنة وأخرى ولد اضطراباً لدى تلك الجماعات السكانية في توزيع ما ينتج من الغلة الزراعة، إذ توجب عليهم ادخار ما يكفي من الحاصل لسنوات أخرى قد يتعرضون خلالها إلى الجفاف وقلة الإنتاج، وهذا لا يتماشى مع الزيادة المضطربة في أعداد السكان، مما دفع بهم إلى أن يهجروا مناطق سكناهم ويتحولوا نحو الجنوب طالما أنهم تحولوا من الزراعة الديمية إلى الزراعة السيحية، إذ إن التحول صوب

(١) اوتس، الديانة والطقوس في الالف السادس قبل الميلاد في وادي الرافدين، ص١٩.

(٢) أبو الصوف، بهنام، تنقيبات تل الصوان الموسم الرابع، ص٤١.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

الجنوب كان الخيار الأفضل أمام ذلك الإنسان والحل لمشكلاته الاقتصادية التي بدأ يعاني منها سابقًا، وفي الجانب الاحيائي الذي تولد عند المستوطنين المنحدرين نحو الجنوب دليل مستنتج من القطع الأثرية المكتشفة في القبور العائدة إلى موقع تل حسونه وتل الصوان وجوخة مامي تشير إلى ان الإنسان قد قطع شوطا مهما في جانب مراسيم الدفن وما يتعلق بالعالم الاخر، إذ عثر على قطع اثرية عديدة في مقابر سامراء وتل الصوان ومنها قطع من حجر المرمر الشمعي لا يوجد لها مثيل في المقابر الأخرى.

ويرى اوتس ان مقبرة تل الصوان كانت غريبة وربما حسب اعتقاده انها مرتبطة بوظيفة خاصة وأغلب ظنه انها كانت لدفن جثث منطقة أوسع بكثير من قرية تل الصوان، فضلاً عن مقبرة سامراء التي تعود إلى ما قبل التاريخ التي تقع على بعد ١١كم إلى الشمال وهي تحمل نفس وظيفة مقبرة الصوان ولكن لمدة متأخرة نسبياً وفيها قبور فريدة تحتوي على نفائس منها تماثيل من حجر المرمر الشمعي، ويقول إنها تحمل دلائل تبقى مجهولة[١]، وربما يشير ذلك إلى ان المقابر الجماعية بدأت تظهر في عصر سامراء لأول مرة. قدمت نتائج التنقيبات الأثرية من مواقع عصر سامراء معلومات غاية في الاهمية تقدم لنا فكرة حول تصور إنسان ذلك العصر لفكرة ما بعد الموت، وفي الوقت نفسه قدمت لنا تصورا حول الطقوس الجنائزية التي كانت تمارس من قبل مستوطني ذلك العصر، إذ كشفت تنقيبات الموسم الرابع في تل الصوان عن مجموعه قبور لأشخاص من أعمار مختلفة وقد حفرت بشكل بيضوي، يسجى الميت فيها على جنبه وبشكل القرفصاء والرأس يتجه نحو الغرب، وفي البعض منها كان الاتجاه نحو الجنوب، وقد كفنت تلك الجثث بحصير مطلي بالقير[٢]، اما بالنسبة للأطفال الصغار فقد دفنوا في توابيت على هيئة أوانٍ مفلطحة عملت من الجص لها اغطية، وفيما يخص المواد الجنائزية التي دفنت مع جثث الموتى فكانت عبارة عن مجموعه من الخرز بكميات كبيرة واغلبها وجدت بالقرب من منطقة الرقبة، فضلاً عن وجود أوانٍ من فخار هذا العصر وجدت هي الاخرى شكلت مواد جنائزية

(١) اوتس، الديانة والطقوس في الالف السادس قبل الميلاد في وادي الرافدين، ص١٩٠.

(٢) أبو الصوف، بهنام، تنقيبات تل الصوان الموسم الرابع، ص٤٠.

مهمة من مواد هذا العصر[١].

الخاتمة والاستنتاجات:

يتضح من خلال ما تطرقنا له آنفا ان عصر سامراء كان أحد أهم عصور قبل التاريخ كونه المهاد الرئيس لنمو جنين الحضارة العراقية القديمة بعد نشأته وتكوينه في جرمو وحسونه وقبل الولادة الميمونة في أرض جنوب العراق (العبيد)، فبين حسونه والعبيد كانت سامراء تجود بما تمتلكه من مقومات طبيعية للبناء الحضاري السليم، ونجد اثر ذلك البناء ظاهرا بين مظاهر الحضارة العراقية، لذا طال مكوث تلك الجماعات وقتا اطول مما كان عليه في المراحل السابقة، وان طول مدة التوقف قد دفع بذلك الإنسان إلى الاهتداء إلى أمور عديدة أصبحت في ما بعد عرفاً سار عليه المجتمع وأسس لقيام أقدم الحضارات التي عرفتها بلاد الرافدين بصورة خاصة والعالم القديم بصورة عامة.

وأما عن بناء وتشيد الدور والمباني التي تعد من أقدم وأهم انجازات ذلك الإنسان، فيبدو من خلال دراسة المخلفات الاثرية، ان مراحل بنائها كانت مشابهة لما هي عليه في الوقت الحاضر ولاسيما في المناطق الريفية، إذ كان إنسان سامراء خلال الالف السادس قبل الميلاد يقوم بحفر اسس الجدران في الأرضية التي يريد أن ينشئ عليها البناء بعدها يبني جداراً من الطوف أو اللبن بحسب المتوفر لديه ليرصفها واحدة فوق الاخرى ليتخذ الشكل المطلوب، وكان من مستجدات هذا العصر طراز جديد في تخطيط الأبنية، ويعد مرحلة انتقالية تطورية في تخطيط وعمارة البيوت السكنية، هو التخطيط بهيئة تشبه حرف T اللاتيني وبزوايا تتجه نحو الجهات الأربع الأصلية مكونة بناءً ثلاثي الأجزاء، فضلاً عن ظهور سمة عمارية جديدة خلال هذا العصر وهي الطلعات والدخلات، إذ ظهرت لأول مرة قبل ان تصبح سمة حضارية وخاصية اختصت بها الحضارة العراقية القديمة، وكان الدليل الأول لظهورها في جوخة مامي وتل صنكر من هذا العصر، وفيما يخص العناصر البنائية فقد ظهر جدار اللبن، وقد جعل من جدران الأبنية ان تكون أكثر صلادة وانتظاما مما كانت عليه خلال المرحلة السابقة .

ومن خلال البحث تأكد لنا أن عصر سامراء امتاز بتطور العديد من الصناعات

(١) أبو الصوف، بهنام، تنقيبات تل الصوان الموسم الرابع، ص٤٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: الخامس
السنة: الثالثة
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

والمهن وفي طليعتها صناعة الأواني الفخارية التي امتازت بخصائص مميزة من حيث الشكل واللون والصناعة جعلت منها ان تكون سمة حضارية دلت على حضارة سامراء، فضلاً عن صناعات اخرى ومنها صناعة التماثيل والادوات المختلفة، وفيها دلائل على شيوع مهن ووظائف لم تكن موجودة في السابق كصناعة الملابس وغيرها من الصناعات الاخرى.

فضلاً عن ذلك عثر على دلائل مادية غاية في الأهمية تظهر لأول مرة خلال هذا العصر الا وهي العثور في تل الصوان على أنماط عمارية ابتدعها مستوطنو ذلك العصر الغاية منها الحد من النزاعات بين مستوطنات هذا العصر والوقوف بوجه الاخطار الخارجية التي اخذت تهدد امن تلك المستوطنات، وكانت تمثل اقدم أنواع التحصينات الدفاعية (الأسوار والخنادق) التي كشف عنها في بلاد الرافدين.

وفي جانب الدين والعبادات فإننا نقف عند مفصل مهم تحقق خلال هذا العصر، هو تطور الفكر الديني لدى إنسان هذه المرحلة من عصور قبل التاريخ، إذ التحول من عبادة الخصب التي كانت شائعة خلال العصور السابقة إلى عبادة الماء، وما يؤكد صحة ذلك الدراسات المعنية بفخاريات هذا العصر من خلال ظهور رسومات وزخارف كانت تحمل دلائل على ظهور بوادر جديدة على الحياة الاجتماعية لسكان هذا العصر وهي تحمل رموزاً عبرت عن قضايا تتعلق بالسحر كوسيلة للتقرب إلى القوى الغيبية التي كانت تحكم ذلك المجتمع في نظر سكان بلاد الرافدين، وهذه الرسومات لم تكن ذات غاية جمالية أو فنية، بل كان الغرض منها غايه دينية .

كما أشارت الكميات الكبيرة من القطع الاثرية المكتشفة في مقابر هذا العصر معلومات غاية في الأهمية تقدم لنا فكرة حول تصور مستوطني هذا العصر لفكرة ما بعد الموت، وفي الوقت نفسه قدمت لنا تصوراً حول الطقوس الجنائزية التي كانت تمارس انذاك، إذ كشفت تنقيبات الموسم الرابع في تل الصوان عن مجموعة قبور لأشخاص من اعمار مختلفة وقد حفرت بشكل بيضوي، يسجى الميت فيها على جنبه وبشكل القرفصاء والرأس يتجه نحو الغرب وفي البعض منها كان الاتجاه نحو الجنوب، وقد كفنت تلك الجثث بحصير مطلي بالقير.

المصادر والمراجع:

١- الدباغ، تقي، «تدجين الحيوان استنادا إلى الاثار المكتشفة في المواقع الاثرية»، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد٣٠، بغداد، ١٩٨١.

٢- الجاسم، صباح عبود، مرحلة الانتقال من جمع القوت إلى إنتاج القوت في العراق وجنوب غرب آسيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٥.

٣- أبو الصوف، بهنام، التنقيب في تل الصوان الموسم الخامس، مجلة سومر، مجلد ٢٧، ١٩٧١.

٤- بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦.

٥- ليبو، مارك، لمحة عن فخار مرحلة العويلي (عبيد صقر) في تل العويلي، لارسا والعويلي أعمال ١٩٨٣.

٦- الأعظمي، محمد طه، الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٢.

٨- مورتكارت، انطوان، تأريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة: عيسى سلمان، وسليم طه، دمشق، ١٩٦٩.

٩ - بارو، اندريه، التنقيبات الأثرية في لارسا (السنكره)، ترجمة: جميل حمودي، مجلة سومر، مج٢٤، ج١-٢، ١٩٦٨.

١٠- السهيري، عاطف محارب، انشاء المباني، بغداد، ١٩٩٠.

١١- العميري، ابراهيم، مواد وتقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للتراث والمتاحف، دمشق ٢٠١٠.

١٢- الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة واولى القرى الزراعية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٥.

١٣- الدليمي، عادل عبد الله، «مواد الانشاء الرئيسة في العمارة العراقية القديمة»، حلقة دراسية عن فن العمارة العربية قبل الإسلام و اثرها في العمارة بعد الإسلام، بغداد، ١٩٩٠.

١٤- اوتس، الديانة والطقوس في الألف السادس قبل الميلاد في وادي الرافدين، مجلة بين النهرين، السنة العاشرة، العددان ٣٩- ٤٠ ،بغداد، ١٩٨٢.

١٥- اوتس، ديفد وجوان، نشوء الحضارة، ترجمة لطفي الخوري، بغداد، ١٩٨٨.

١٦- النعيمي، هاني محي الدين محمد الحاج أحمد، البيئة في الفن التشكيلي

لحضارة وادي الرافدين (٢٠٠٠-٥٣٩ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، ١٩٩٨ .

١٧ - أبو الصوف، بهنام، تنقيبات تل الصوان الموسم الرابع، مجلة سومر، ١٩٦٨.

١٨ - فوجي، هيديو، التنقيبات في تل الكبة تلول صنكر حميديات، ترجمة، منير يوسف طه، طوكيو، ١٩٨١.

٩١- النوري، قيس، بيئة الإنسان من منظور الثقافة والمجتمع، بغداد، ١٩١٩م.

1) Kirkbride, D: Umm Dabaghiyah, 1971, A preliminay Report, Iraq, Vol. 34, No.1,1972,.

2) Oates, J.: Early Farming Communities in Mesopotamia, (London-1973).

3) Ernst Herzfeld, Die vorgeschichtlichen Töpfereien von Samarra, Die Ausgrabungen von Samarra 5, Berlin 1930.

4) Wailly. F، and Abu Al-Soof. B.The Excavation at tell Es-sawwan first prolixmepinary 1964 ،Sumer Vol. 21, 1965.

5) Braidwood and howe. prehistoric Inver stigations in Iraq Kurdistan. Studies in Aneient oriental Civilisations. No 31 .1960

6) Sieverts. U. "Frühe Pfeiler-Nischen-Architektur aus Tepe Gawra und Telul eth-. Papers Assyriolo gique Internationale of the 49th Rencontre . Iraq .2005، Thalathat .

7) Mesopotamia Before History ،London and New York، P7، - Charvát ,2002.

8) Blackhan. M. Further investigations as to the relationship of Samarran and ubaid ceramic assemblages Iraq .vol, 58, 1996.

9) loyd and safar. Tell Hassuna; Excavation by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944. JNES .vol 4.No.4.1945.

10) Herzfeld,E, "prehistoric persia 1: a neolithic settlement at persepolis: remarkable new discoveries." London Illustrated News may 25,1929.

11) Sumer.13 1957،(Childe1935: 125C "Aprehistoric find near Razzazz"11 - Voure .

12) D.Early irrigation agriculture Mesopotamia،12 Oates J.and Oates Long worthI.H. and Wilson ،K.E.(eds) ،proplems in economic amd Social archaeology London: Puckworth .1977.